إن كتاب «الرواية والواقع» في جانب التطبيق بقي وفياً ـ في الواقع ـ إلى الخلفية النظرية التي وضعها الناقد نفسه لكتابه السابق «المغامرة المعقدة». وقد تبين لنا عند الكلام سابقاً عن هذا الكتاب أن الناقد كان صاحب موقف اشتراكي، وأنه دعا إلى دراسة الرواية من هذا المنظور، إذاً فالدعوة الإديولوجية حاضرة في كتاب الرواية والواقع كما كانت حاضرة في الكتاب السابق، يبقى أن الإديولوجيا لم توظف كوسيط في تحليل الروايات مما أدى إلى النظرة الانعكاسية التي تعمل في اتجاه معاكس للأطروحات المنهجية نفسها، تلك التي شكلت المنطلق الأول للناقد.

استنتاجات:

1 ـ إن أول ملاحظة عامة ينبغي أن نسجلها بعد أن أنهينا الكلام عن مختلف أشكال المنهج الاجتماعي في النقد الروائي العربي، **هي أن التطور الذي حصل في الرؤية المنهجية كان أكثر تقدماً من التطور الحاصل في الممارسة**، فشكل التصورات المنهجية التي تم تسجيلها في مداخل ومقدمات كتب نقد الرواية كان أكثر طموحاً، ونضجاً بالقياس إلى تحقق هذه الأطروحات المنهجية عند التطبيق. هذه الملاحظة نفسها قدمها «نبيل سليمان» بالنسبة للنقد الروائي السوري فيما سماه مرحلة الفوران فقال:

«يبدو في هذا النقد للرواية السورية، كما في الحركة النقدية الأم. ضَعْفُ الإنسجام بين ما يطرحه عدد كبير من النقاد ـ من سائر الاتجاهات ـ نظرياً، وبين التطبيق (. . .) وتظهر بقوة نزعة الإفادة من المناهج كافة. ولكن على مستوى الدعوة والتنظير فقط. أما في الممارسة، فإننا نقع إما على التنويع على منهج بعينه. وإما على الانتقائية (مزجاً وخلطاً) مع رجحان النزوع إلى منهج بعينه»[145].

وتبدو لنا المسألة طبيعية **لأن الناقد العربي كان على الدوام ـ وخصوصاً في ميدان نقد الرواية ـ يتلقى «الدروس» إن صح التعبير من معلمين يوجدون خارج نطاق بيئته الثقافية، وهو لذلك في محاولة دائمة لاستيعاب ما يقوله الآخرون. ولا يجد الفرصة السانحة للتطبيق حتى تظهر في الأفق نظريات جديدة عليه أن يلاحقها من جديد**(*).

2 ـ ويترتب عن الملاحظة السابقة ميل الناقد الروائي العربي الذي يستخدم المنهج

---

(145) أنظر مقالته: **النقد والرواية السورية**. مجلة الطريق. عدد 3 - 4. 1981، ص 227.

(*) إن وضعية الناقد الروائي العربي المعاصر لا تختلف أبداً عن وضعية نقاد الأنماط الثلاثة السابقة، لأن الغرب لا يزال دائماً ـ وخصوصاً في ميدان الرواية ـ المصدر الرئيسي للنظريات الجديدة وقد زاد تعقيد وتشعب المناهج النقدية اللقاء الحاصل بين اللسانيات والنقد الأدبي. أنظر توضيح بعض جوانب هذه المشكلة في ندوة «اللسانيات والنقد الأدبي» مجلة دراسات أدبية ولسانية عدد 1 1985، ص 105. ثم العدد 2 1986، ص 102.